مفهوم (الكلمة) في القرآن الكريم بين الحقيقة اللفظية والواقعية دراسة تفسيرية

م . د . ماجد حميد كصاب

وزارة التربية/ مديرية تربية ذي قار

الملخص

اشتمل القرآن الكريم على كثير من المصطلحات مثلت بمجموعها وحدة موضوعية تعين على إيجاد قاسم مشترك بين مفاهيمها ترشد إلى دلالة قرآنية او هدف قرآني يسير في طول أهداف القرآن التي تعزز بناء الإنسان معرفيا عِبر إيضاح دوره خليفة لله تعالى يوحده ويبني علاقته مع أخيه الإنسان من نافذة التوحيد ، وفي ذلك معنى احترام الإنسان ، ومن نافذة الإنسانية وفي ذلك معنى احترام المختلف عنه .

فالقرآن الكريم عندما يوضح أنّ هدفه (ليقوم الناس بالقسط) فإنّ أوضح دليل وأقوم طريق لذلك القسط والعدل المنشود المعشوق هو توحيد الله تعالى ، فيتوحد الخلق في توجههم نحو وجهة التوحيد ، وم ثمّ يتفاوتون في مراتب توحيدهم عندما يعني التوحيد معرفة الله تعالى ، فجاءت (الكلمة) بحثا قرآنيا تفسيريا يسلط الضوء على معانيها ودلالاتها التي تأطرت بجامع جمعها وهو توحيد الله تعالى وتقديس خلقه ، وحتى الذين خرجوا عن طاعة الله وتوحيده فلا يعجل لهم العذاب عسى أن يؤبوا إلى ساحة توحيده في آيات كثيرة نصت على ذلك (ولولا كلمة سبقت من ربك ...) فساحة التوحيد هي كرامة البشرية وان تعددت معاني التوحيد لكن يبقى الهدف الأساس هو تكريم الإنسان ، فحقيقة الكلمة تجلت عبر معناها الواقعي لمن تأمل فيها ؛ لتفارق في أحيان كثيرة المعنى الظاهري للفظة (الكلمة) فظهورات القرآن الكريم تسيح في المعنى ، وأول هذه المعاني هو المعنى اللفظي او او الظاهري وأعمقه هو المعنى الواقعي ، ويُستخلص المعنى الواقعي عبر تأويل اللفظ أو

الاهتداء الى مجازه ، او تفسير بعضه ببعض عن طريق التماس معنى موضوعي يتجلى من خلال الجمع بين الآيات الكريمة .

وفي هذا البحث سلطت الضوء على معنى (الكلمة) الواقعي عبر الربط الموضوعي بين الآيات الكريمة والذي جاء في ثلاثة مباحث ارتبطت بوحدة الهدف .

التمهيد

أُستعمل هذا المصطلح (الكلمة) في القران الكريم بوجوه عدة ، يكاد يختلف كل وجه عن الوجوه الأخرى رسما ودلالة ويتفق أحيانا بالمعنى في أكثر من مورد ، الهدف من هذه الدراسة الإشارة إلى وجوه الاتفاق والاختلاف فضلا عن المعنى الموضوعي لمجموع الآيات وذلك بالرجوع إلى كتب التفسير والدلالة وكتب الحديث وغيرها من المصادر التي تهتم بالمصطلح القرآني .

من جانب آخر تعددت مشارب المفسرين وهم يتطرقون إلى دلالة (الكلمة) عند مرورهم عليها ، كلٌ حسب منهجه وطريقته التفسيرية ، لكن الشيء المفارق هو التنوع والتعدد في الرؤى المتأثرة بالوجهة المذهبية او الطائفية ، وفي أحيان كثيرة على حساب الوجهة او الرأي الواقعي والعقلاني ، ولكن بالمحصلة يبقى كل ذلك ضمن الجهود التفسيرية.

وهنا يشير الباحث إلى بعض تلك الآراء التفسيرية وحتى الكلامية ولكن قبل ذلك يعرض جردا للآيات الكريمة على اختلاف بنية الكلمة ، ومن ثم المقارنة بين تلك الآراء ؛ للوصول الى بعض القواسم المشتركة ، او ترجيح بعض الآراء التي مال إليها الباحث .

وينبغي الإشارة أيضا أن مصطلح (الكلمة) مدار البحث هي المتعلقة بالله سبحانه وتعالى فأما أن تأتي مضافة إلى لفظ الجلالة ، او مضافة إلى ضمير لفظ الجلالة .

وعند المرور على الآيات المباركة التي وردت فيها لفظة (كلمة) بالتاء المربوطة و (كلمت) بالتاء الطويلة ، اتضح ان المسالة اختلاف في القراءة على رأي واختلاف في

الدلالة على رأي آخر ، وهذا ما سيتضح في البحث عند التطرق للآيات الكرية التي اختلف بناؤها .

اما ورود مفهوم الكلمة في القرآن الكريم فهو كما يأتي :

1- (كلمة) وردت في عشرين موضعا .
2- (كلمت) وردت في خمسة مواضع .
3- (كلمتنا) وردت في موضع واحد .
4- (كلمته) وردت في موضع واحد .
5- (كلمات) وردت في سبعة مواضع .
6- (كلماته) وردت في ستة مواضع .

الكلمة لغة : قال ابن فارس : تقول كلمته أكلمه تكليما وهو كليمي إذا كلمك أو كلمته . ثم يتسعون فيسمون اللفظة الواحدة المفهمة كلمة والقصة كلمة والقصيدة بطولها كلمة ويجمعون الكلمة كلمات وكلما [1] . وقيل : الكلمة بِفَتْحٍ فَكَسْرٍ اللَّفْظَةُ الوَاحِدَةُ ، ومن المَجَازِ : الكَلِمَةُ : القَصِيدَةُ بِطُولِهَا، ومنه حَفِظْتُ كَلِمَته ، أي قَصِيدَتَه ، وهذِه كَلِمَةٌ شَاعِرَةٌ ، وقيل : الكَلِمَةُ تَقَعُ على الحَرْفِ الوَاحِدِ من حُرُوفِ الهِجَاءِ ، وعلى لَفْظَةٍ مُرَكَّبَةٍ من جَماعَةِ حُرُوفٍ ذَوَاتِ مَعْنًى ، وعَلَى قَصِيدَةٍ بِكَمَالِها ، وخُطْبَةٍ بِأَسْرِهَا [2] ، وقال ابن هشام : تطلق الكلمة في اللغة على الجمل المفيدة [3] .

أما الكلمة اصطلاحا : فقد قال ابن هشام : تطلق في الاصطلاح على القول المفرد والمراد بالقول اللفظ الدال على معنى [4] ، وقيل : الكلمة اسم جنس يطلق على القليل والكثير ، فيقال للكلام والبيت والخطبة والقصيدة [5] ، وقال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي : الكلمة بمعنى القول وتطلق على جملهِ ، وكل كلام مطولا كان ام موجزا ، وقد تطلق على الوعد او تأتي بمعنى الدين او الحكم والأمر [6] .

المبحث الأول : آدم وإبراهيم وعيسى ويحيى (كلمات الله)

درس هذا المبحث الآيات التي تكلمت عن الأنبياء آدم وإبراهيم ويحيى وعيسى (عليهم السلام) وجاءت (الكلمة) في سياق الآيات الكريمة ، يتوب بها كما في آدم عليه السلام او يتعلمها كما في ابراهيم عليه السلام او يومن بها كما في يحيى عليه السلام او يخلق بها كما في عيسى عليه السلام .

1- ففي قوله تعالى :﴿ فَتلقى آدَمُ مِن رَّبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيم ﴾ البقرة : ٣٧.

تعددت مشارب المفسرين في بيان معنى الكلمات التي تاب الله تعالى بها على آدم ، وحتى كتب الحديث عندما تذكر الآثار الحديثية في توبة آدم عليه السلام تتعدد الآراء تبعا لتعدد المذاهب الفكرية او الكلامية ، مثلا قال الكليني : الكلمات هي لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي وأنت خير الغافرين ، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فاغفر لي وارحمني وأنت أرحم الراحمين ، لا إله إلا أنت سبحانك اللهم وبحمدك عملت سوءا وظلمت نفسي فتب علي إنك أنت التواب الرحيم وفي رواية أخرى قال : سأله بحق محمد وعلي والحسن والحسين وفاطمة (صلى الله عليهم) [7] ، أما البخاري فقال : الكلمات هي : قوله ربنا ظلمنا أنفسنا [8] .

قال القمي في تفسيره : بعد خروج آدم من الجنة أرشده الله تعالى إلى موضع بيته الحرام وهناك علمه كلمات وتاب عليه والكلمات هي التي تلقاها من ربه وهي " سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك أنت الغفور الرحيم سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك خير الغافرين سبحانك اللهم وبحمدك لا إله إلا أنت عملت سوءا وظلمت نفسي واعترفت بذنبي فاغفر لي انك أنت التواب الرحيم " [9] ، وقال الشيخ

الطوسي : والكلمات التي تلقاها آدم " ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين فان في ذلك اعترافا بالخطيئة ، ولذلك وقعت موقع الندم وحقيقته الإنابة وقيل : هو قول آدم : اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك ... مثل ما ذكره القمي في تفسيره [10] .

تلك الآراء قريبة جدا مما ذهب إليه الجمهور في سبب توبة آدم عليه السلام وهي الكلمات التي سال الله تعالى بها ان يتوب عليه مع اعتراف منه بالمعصية التي عبر عنها القرآن .

ولا يبتعد الفخر الرازي في تفسيره عن هذا الرأي فقد ذكر أربعة آراء في تفسير معنى الكلمات منها الآراء المتقدمة ، واردفها بقوله : " علم الله آدم وحواء أمر الحج فحجا وهي الكلمات التي تقال في الحج ، فلما فرغا من الحج أوحى الله تعالى إليهما بأني قبلت توبتكما " [11] .

أما ابن عربي فذهب بـ (الكلمات) باتجاهه المعروف هو التصوف او العرفان فقال : (فتلقى آدم من ربه كلمات) أي : استقبل من جهة ربه أنواراً وأطواراً ، أي مراتب من الملكوت والجبروت وأرواحاً مجردة ، إذ كل مجرد كلمة لأنه من عالم الأمر كما سمي عيسى كلمة أو تلقن منه معارف وعلوماً وحقائق [12] أي أن المراتب التي تحلى بها آدم عليه السلام سواء كانت غيبية من عالم الجبروت أو روحية مجردة من عالم الملكوت والتي سماها القرآن (كلمات) أهّلته للتوبة المبدوءة بالفاء الرابطة (فتاب عليه) بمعنى مجرد إتيان تلك الكلمات او المراتب حصلت التوبة ، وهنا يقر السيد الطباطبائي ان الكلمات اكثر من لفظ فيقول : فلا ينحصر الكلمة في الأقوال والألفاظ ، فيجوز أن يراد منها الأمور التكوينية الروحية ، مع أن المناسبة تقتضي أن تكون الكلمة المتلقاة من الله ، مسائل روحية تكوينية ، لا قولية ولفظية ، وإنما تفسر تلك المعاني الخارجية بالألفاظ حكاية عنها [13] .

وبعد هذا الكلام والآراء المتعددة في معنى الكلمات نجد صاحب التحرير والتنوير يقول : ولهُمْ فِي تَعيينِ هذهِ الكلماتِ رِوايات أَعرضنا عنهَا لِقلَّة جدوَى الِاشتغَال بذلِك، فقَد قَال آدَم الكلِمَات فَتِيبَ عَليه فلنهتمَّ نحن بِما ينفعُنا مِن الكلامِ الصَّالحِ وَالفِعلِ الصَّالحِ [14] ،

يبدو أن صاحب التحرير والتنوير نأى بنفسه عن الاختلاف الحاصل بين المذاهب في تفسير معنى الكلمات وإن كان اختلافا يسيرا ، لكن مغادرة القناعة سبيل غير مأمون في التفسير كما أن التعسف في الآراء وتحميلها ما لا تحتمل كذلك سبيل غير مأمون .

وقال الآلوسي : والمروي في المشهور عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ، أن هذه الكلمات هي: (ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا) (الأعراف : 23) الآية ، وعن ابن مسعود أنها : سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ، وتعالى جدك ، لا إله إلا أنت ، ظلمت نفسي فاغفر لي ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . وقيل : رأى مكتوباً على ساق العرش ، محمد رسول الله فتشفع به ، وإذا أطلقت الكلمة على عيسى (عليه السلام) ، فلتطلق الكلمات على الروح الأعظم ، والحبيب الأكرم صلى الله عليه وسلم ، فما عيسى ، بل وما موسى ، إلا بعض من ظهور أنواره ، وزهرة من رياض أنواره ، وروي غير ذلك [15] .

وهذا ما يقرّب للأذهان صحة إطلاق الكلمة على النبي وأهل بيته (عليهم السلام) وان كان ليس في معنى الخلق كما اطلقت على عيسى ﷺ وإنما في معنى عالم الملكوت إكراما لهم وإقرارا بعظيم منزلتهم وتعريف الناس بمكانتهم وفضلهم .

2- قوله تعالى :﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ . البقرة: ١٢٤.

هذه الآية المباركة أيضا احتوت على عبارة (كلمات) وتجاذبها المفسرون بين مد وجزر استنادا إلى المروي في كتب الحديث الشريف ، واحيانا إلى الذهنية التي ينحاز إليها المفسر تبعا لطائفته ومذهبه ؛ لذا فالتنوع واضح في الآراء واحيانا يصل حد التضاد .

قال الشيخ الصدوق : عن المفضل ابن عمر ، عن الصادق جعفر بن محمد عليهما السلام قال : سألته عن قول الله عز وجل : " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " ما هذه الكلمات ؟ قال : هي الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه وهو أنه قال : يا رب أسألك بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا تبت علي ، فتاب الله عليه إنه هو التواب الرحيم

. فقلت له : يا ابن رسول الله فما يعني عز وجل بقوله " فأتمهن " ؟ قال : يعني فأتمهن إلى القائم (عليه السلام) اثني عشر إمام تسعة من ولد الحسين [16] .

وفي المستدرك : عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله عز وجل " وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات " قال ابتلاه الله بالطهارة خمس في الرأس وخمس في الجسد في الرأس قص الشارب والمضمضة والاستنشاق والسواك وفرق الرأس وفى الجسد تقليم الأظفار وحلق العانة والختان ونتف الإبط وغسل مكان الغائط والبول بالماء هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه [17] ، عند التأمل في هذه الرواية لا يُعقل أن يُبتلى إبراهيم عليه السلام بهذا المعنى من الكلمات وهي مسائل تخص الإنسان بصفته الآدمية وأجد في ذلك تسطيحا للمعنى وإبعادا عن مغزاه الحقيقي ، الله جلّ وعلا يبتلي خليله بتقليم أظافره وقص شاربه ... ثمّ يستحق بعد ذلك الإمامة ذلك أمر مستبعد !! لان الآية في سياقها جعلت الحصول على الإمامة سببه إتمام الكلمات ، اذن يبقى السؤال عن كنه الكلمات مطروقا ؟؟ .

قال الشيخ الطوسي : والكلمات التي ابتلى الله إبراهيم بها فيها خلاف فيروى في بعض الروايات عن ابن عباس: انه أمره إياه بعشرة سنن خمس في الرأس ، وخمس في الجسد ... ثمّ ذكر ما سبق ذكره ، وفي احدى الروايتين عن ابن عباس أنه ابتلاه من شرائع الإسلام بثلاثين شيئا عشرة منها في براءة " التائبون العابدون الحامدون . إلى آخرها " وعشرة في الأحزاب : " إن المسلمين والمسلمات إلى اخرها " وعشرة في سورة المؤمنين : إلى قوله " والذين هم على صلاتهم يحافظون " وعشرة في سأل سائل إلى قوله : " والذين هم على صلاتهم يحافظون " فجعلها أربعين سهما وفي رواية ثالثة عن ابن عباس انه أمره بمناسك الحج : الوقوف بعرفة والطواف والسعي بين الصفا والمروة ورمي الجمار والإفاضة ، وقيل : ابتلاه الله بالكوكب وبالقمر وبالشمس ، وبالختان وبذبح ابنه ، وبالنار ، وبالهجرة وكلهن وفى لله فيهن . وقيل: ابتلاه الله بالآيات التي بعدها وهي " اني جاعلك للناس إماما قال ومن ذريتي قال لا ينال عهدي الظالمين " [18] .

وقريب من هذا الكلام ما قاله القرطبي : الكلمات جمع كلمة ، ويرجع تحقيقها إلى كلام الباري تعالى ، لكنه عبر عنها عن الوظائف التي كلفها إبراهيم عليه السلام ، ولما كان تكليفها بالكلام سميت به ، كما سمي عيسى كلمة ، لأنه صدر عن كلمة وهي " كن " ، وتسمية الشيء بمقدمته أحد قسمي المجاز [19] .

وذكر أبو حيان الأندلسي الوجوه السابقة في معنى الكلمات واقر الاختلاف الحاصل بين المفسرين والمحدثين ، ثم ذكر معنى الكلمات بين الحقيقة والمجاز بقوله : وهذه الأشياء التي فسر بها الكلمات ، إن كانت أقوالاً ، فذلك ظاهر في تسميتها كلمات ، وإن كانت أفعالاً ، فيكون إطلاق الكلمات عليها مجازاً ، لأن التكاليف الفعلية صدرت عن الأوامر، والأوامر كلمات سميت الذات كلمة لبروزها عن كلمة كن[20] .

أمّا الشيخ محمد جواد مغنية فيقول : بيّن اللّه سبحانه انه أمر إبراهيم ببعض التكاليف كذبحه ولده – مثلا – فوجده أمينا وفيا ، فمعنى أتمهن امتثل وأطاع [21] .

والباحث يميل إلى راي السيد الطباطبائي بقوله : أن المراد بالكلمات ، قضايا ابتلى بها وعهود إلهية أريدت منه ، كابتلائه بالكواكب والأصنام ، والنار والهجرة وتضحيته بابنه وغير ذلك ولم يبين في الكلام ما هي الكلمات لان الغرض غير متعلق بذلك ، نعم قوله : قال إني جاعلك للناس إماما ، من حيث ترتبه على الكلمات تدل على أنها كانت أمورا تثبت بها لياقته ، (عليه السلام) لمقام الإمامة . فهذه هي الكلمات وأما إتمامهن فإن كان الضمير في قوله تعالى : أتمهن راجعا إلى إبراهيم كان معنى إتمامهن إتيانه عليه السلام ما أريد منه ، وامتثاله لما أمر به ، وإن كان الضمير راجعا إليه تعالى كما هو الظاهر كان المراد توفيقه لما أريد منه ، ومساعدته على ذلك ، وأما ما ذكره بعضهم : أن المراد بالكلمات قوله تعالى : قال إني جاعلك للناس إماما ، إلى آخر الآيات فمعنى لا ينبغي [22] .

وقال الشيخ مكارم الشيرازي كلاما قريبا من كلام السيد الطباطبائي : من دراسة آيات القرآن الكريم بشأن إبراهيم عليه السلام ، وما أداه هذا النبي العظيم من أعمال جسيمة استحق ثناء الله ، نفهم أن المقصود من الكلمات هو مجموعة المسؤوليات والمهام الثقيلة الصعبة التي

وضعها الله على عاتق إبراهيم ، فحملها وأحسن حملها ، وأدى ما عليه خير أداء ، وهي عبارة عن : أخذ ولده إلى المذبح والاستعداد التام لذبحه ، إطاعة لأمر الله سبحانه وإسكان الزوج والولد في واد غير ذي زرع بمكة ، حيث لم يسكن فيه إنسان والنهوض بوجه عبدة الأصنام وتحطيم الأصنام ، والوقوف ببطولة في تلك المحاكمة التاريخية ، ثم إلقاؤه في وسط النيران وثباته ورباطة جأشه في كل هذه المراحل والهجرة من أرض عبدة الأصنام والابتعاد عن الوطن والاتجاه نحو أصقاع نائية لأداء رسالته . . . وأمثالها كان كل واحد من هذه الاختبارات ثقيلا وصعبا حقا ، لكنه بقوة إيمانه نجح فيها جميعا ، وأثبت لياقته لمقام " الإمامة " [23] .

ويذهب ابن عربي بطريقته العرفانية في التفسير فيقول : وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات أي : بمراتب الروحانيات ، كالقلب والسر والروح والخفاء والوحدة والأحوال والمقامات ، التي يعبر بها على تلك المراتب كالتسليم والتوكل والرضا وعلومها (فأتمهن) بالسلوك إلى الله وفي الله حتى الفناء [24] .

ويذهب صاحب التحرير والتنوير ان الكلمات غير مفصلة في هذا النص القرآني بل جاءت مجملة ؛ لأن " ليس الغرض تفصيل شريعة إِبراهيمَ ولَا بسط الْقصَّة والحكاية وإِنَّما الغرض بيان فضل إبراهيم ببيان ظُهُور عزمه وامتثاله لتكاليفٍ فأتى بِها كاملةً فَجُوزِيَ بِعظيم الجزاء، وهذه عادة الْقُرْآن في إجمال ، شقّة بعِيدة وَأعظم ذلك أمره بذبح ولَده إسماعيلَ بوحي من اللَّهِ إليه في الرّؤيا، وقد سُمِّي ذلك بلَاءً [25] ، إذن محصلة هذا الكلام والذي سبقة ان الكلمات (كمالات) تحصّل عليها إبراهيم عليه السلام وأتمها فاستحق بذلك لقب الإمامة ، لتاتي آية أخرى تؤيد ما سبق أي ان المقام الذي حصل عليه إبراهيم عليه السلام من القرب والوحدانية لله تعالى وصى بها عقبه وبنيه وذلك في النقطة الثالثة .

3- قوله تعالى :﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾ الزخرف: ٢٨ . هذا النص الكريم من النصوص التي اختلف أرباب الحديث والمفسرون في تأويلها ، وكل فريق يذهب باتجاه ميله الطائفي والديني فكثير من كتب الجمهور يذهب إلى ان المقصود

بالكلمة هنا هو التوحيد او لا إله إلا الله ، بينما نجد معنى الكلمة في كتب مدرسة اهل البيت (عليهم السلام) هي الإمامة ، وهنا لا بد من الوقوف على رأي الفريقين ومن ثم إيجاد القاسم المشترك ، فالشيخ الصدوق يقول : عن أبي بصير ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن قول الله عز وجل : وجعلها كلمة باقية في عقبه قال : هي الإمامة جعلها الله عز وجل في عقب الحسين عليه السلام باقية إلى يوم القيامة [26] ، أما العيني يقول : وفسر العقب بالولد والمراد به الجنس حتى يدخل ولد الولد ، وقيل : بل الورثة كلهم عقب والكلمة الباقية قوله : (لا إلاه إلا الله) [27] .

بينما نجد الشريف الرضي يقول : وهذه استعارة ؛ لأن الكلام الذي هو الأصوات المقطَّعة ، والحروف المنظومة ، لا يجوز عليه البقاء وإنما المراد – واللَّه أعلم – أن إبراهيم (عليه السلام) جعل الكلمة التي قالها لأبيه وقومه وهي قوله : (إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ ، إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّه سَيَهْدِينِ) الزخرف 26 ، باقية في عقبه ، بأن وصّى بها وِلده ، وأمرهم أن يتواصوا بها ما تناقلتهم الأصلاب ، وتناسخهم الأدوار وهذه الكلمة هي كلمة الإخلاص والتوحيد [28] .

وقد اختلف المفسرون في ضمير الجعل فمنهم من ينسب الضمير إلى الله تعالى ومنهم من ينسب الضمير إلى إبراهيم عليه السلام وكلٌ لديه حجته ، فالطبري يقول : (وجعلها كلمة باقية في عقبه) يقول تعالى ذكره : وجعل قوله : إنني براء مما تعبدون إلا الذي فطرني وهو قول : لا إله إلا الله ، كلمة باقية في عقبه ، وهم ذريته ، فلم يزل في ذريته من يقول ذلك من بعده ، ثم ذكر روايات كثيرة توضح معنى الكلمة أنها التوحيد والإخلاص او لا اله إلا الله [29] ، أما الرازي فينسب الجعل لإبراهيم عليه السلام فهو عنده ارجح يقول : وجعل إبراهيم كلمة التوحيد التي تكلم بها (إنني براء مما تعبدون ...) جعل هذه الكلمة باقية في عقبه أي في ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله ويدعو إلى توحيده [30] ، بينما نجد السيد الطباطبائي يرجح الجعل لله تعالى بقوله : الظاهر أن ضمير الفاعل المستتر في (جعلها) لله سبحانه وبهذا يظهر أن المراد ببقاء الكلمة في عقبه عدم خلوهم عن الموحد ما داموا ، ولعل هذا عن استجابة دعائه (عليه السلام) إذ يقول : (واجنبني وبني أن نعبد الأصنام) إبراهيم 35 . وقيل :

الضمير في (جعل) لإبراهيم (عليه السلام) فهو الجاعل هذه الكلمة باقية في عقبه رجاء أن يرجعوا إليها ، والمراد بجعلها باقية فيهم وصيته لهم بذلك كما قال تعالى:(وصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب يا بنى إن الله اصطفى لكم الدين فلا تموتن إلا وأنتم مسلمون) البقرة 132 . ولكن الوصية بكلمة التوحيد لا تسمى جعلا للكلمة باقية في العقب وإن صح أن يقال : أراد بها ذلك لكنه غير جعلها باقية فيهم ! وقيل : المراد أن الله جعل الإمامة كلمة باقية في عقبه ، ويظهر من الآية أن ذرية إبراهيم عليه السلام لا تخلو من هذه الكلمة إلى يوم القيامة [31] .

بينما نجد الشيخ مكارم الشيرازي يذهب إلى راي آخر يخالف السيد الطباطبائي من عودة الضمير إلى إبراهيم ﷺ ولا محذور في ذلك فيقول : غير أن رجوع الضمير إلى إبراهيم (عليه السلام) – وهو التفسير الأول يبدو أنسب ، لأن الجمل السابقة تتحدث عن إبراهيم ، ومن المناسب أن يكون هذا الجزء من جملة أعمال إبراهيم ، خاصة وأنه قد أكد على هذا المعنى في آيات عديدة من القرآن الكريم ، وإن إبراهيم كان مصرا على أن يبقى بنوه وعقبه على دين الله ، والتصور بأن (جعل) يعني الخلق ، وأنه مختص بالله سبحانه ، تصور خاطئ ، لأن (الجعل) يطلق على أعمال البشر وغيرهم أيضا ، وفي القرآن نماذج كثيرة لذلك ، فمثلا عبر القرآن عن إلقاء يوسف في البئر من قبل إخوته ، بالجعل : (ان يجعلوه في غيابة الجب) إلا أن الإشكال الذي يتبادر لأول وهلة هو أنه لا كلام عن الإمامة في الآية مورد البحث ، اللهم إلا أن تكون جملة (سيهدين) إشارة إلى هذا المعنى ، لأن هداية النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) والأئمة (عليهم السلام) شعاع من هداية الله المطلقة ، وحقيقة الهداية والإمامة واحدة ، والأفضل من ذلك أن يقال : إن مسألة الإمامة مندرجة في كلمة التوحيد ، لأن للتوحيد فروعا أحدها التوحيد في الحاكمية والولاية والقيادة ، ونحن نعلم أن الأئمة يأخذون ولايتهم وزعامتهم من الله سبحانه ، لا أنهم مستقلون بأنفسهم ، وبهذا فإن هذه الروايات تعتبر من قبيل بيان مصداق وفرع من المعنى العام لـ جعلها كلمة باقية، والجدير بالملاحظة هنا : هو أن المفسرين قد احتملوا عدة احتمالات في تفسير في عقبه ففسرها البعض بكل ذرية إبراهيم وأسرته ، واعتبرها آخرون خاصة بقوم إبراهيم وأمته ،

وفسرها جماعة بآل محمد (عليهم السلام) إلا أن الظاهر هو أن لها معنى واسعا يشمل كل ذريته إلى انتهاء الدنيا ، والتفسير بآل محمد (عليهم السلام) من قبيل بيان المصداق الواضح لها [32] . هذا الرأي يمثل منهجا وسطا بين التعسف في الرأي ولوي عنق النص القرآني وبين غض النظر وحذف الدلالات الأخرى المحتملة عند قراءة النص القرآني .

4- قوله تعالى : ﴿ فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾. آل عمران: ٣٩ وقوله تعالى : ﴿إِذْ قَالَتِ الْمَلَائِكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴾. آل عمران: ٤٥ . يكاد يتفق مفسرو المسلمين على ان الكلمة هنا تعني عيسى عليه السلام وذلك في الآية الأولى ؛ بسبب ولادته المعجزة ، فجاء للدنيا بكلمة (كن ـ فكان) ويضيف بعضهم سببا آخر لتسميته بـ (الكلمة) وهو انه يكون سببا للهداية كما كلام الله تعالى سببا للهداية ، فيقول الشيخ الطوسي : " مصدقا بكلمة هو المسيح عليه السلام ، وإنما سمي كلمة لأمرين ، الأول : انه كان بكلمة الله من غير أب من ولد آدم ، الثاني: لان الناس يهتدون به في الدين كما يهتدون بكلام الله "[33] .

وقيل: إن الكلمة تحتمل ثلاثة معان ، هي معنى التوحيد ، وقيل كتاب الله وقيل يعني بها عيسى بن مريم عليه السلام [34] . وقد تعرض الفخر الرازي لهذه الآراء ثم ختم قوله : إن ما عليه الجمهور ان المراد بالكلمة عيسى عليه السلام [35] .

أما السيد الطباطبائي فيذهب الى البعد الدلالي وذلك في قوله : " مصدقا بكلمة من الله ، دلالة على كونه من دعاة عيسى ، فالكلمة هو عيسى المسيح كما ذكره تعالى في ذيل هذه الآيات في بشارة الروح لمريم " [36] .

وقيل : الظاهر وجه اطلاق الكلمة على هذه الأعيان والحوادث من قبيل اطلاق الإيجاد على الموجود ، أي من باب اطلاق السبب على المسبب فان الوجود بالإيجاد يتحقق ويوجد في موجود من الأعيان والحوادث والعهود والأزمان فذلك يتحقق بكلمة (كن) [37] .

أما الآية الكريمة الثانية فقد اتفق المفسرون على دلالة (الكلمة) فيها على عيسى عليه السلام ، حيث تتكلم الآية المطهرة عن فضائل السيدة مريم (عليها السلام) ، ومن هذه الفضائل هي ولادة عيسى عليه السلام النبي الوجيه والمقرب من الله تعالى ، والذي سماه (كلمة منه) في هذه الآية المباركة و (كلمته) في قوله تعالى :﴿ إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ﴾ النساء: ١٧١ . التي وردت في سياق نهي أهل الكتاب عن الغلو في عيسى عليه السلام .

وقد ذكر الشريف الرضي أقوالا في معنى الكلمة هنا منها : إنّ الله تعالى قد ذكر السيد المسيح في الكتب السابقة لميلاده ووعد بمبعثه وبشر بنبوته فلما خلقه قال هذا كلمتي ، ويقال أيضا : هذا قولك او هذا كلامك أي ماكنت تعد به ، او يكون معنى (كلمة أو كلمته) أي بشارته بولد ذكر يكون نبيا يُهتدى به كما يُهتدى بكلمات الله تعالى ؛ فلذلك سماه على التشبيه بالكلمة الموضوعية للبيان والدلالة ؛ لان الكلمة في الحقيقة عين الكلام وعيسى عليه السلام ليس بكلام ولا من جنس الكلام ، ولمثل هذا أيضا سماه الله تعالى روحا لأن العباد يحيون به في أديانهم كما يحيون بالأرواح في أبدانهم [38] .

ومن أوصاف السيدة مريم تصديقها بكلمات ربها في قوله تعالى :﴿ وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ التحريم: ١٢، فالكلمات جمع كلمة ومعلوم ان منها هو عيسى عليه السلام ، لكن يبدر السؤال عن معنى التصديق الذي يتعدى الولادة والبنوة إلى معنى آخر وهو رسالة عيسى ونبوته ، كما قيل :" يعني آمنت بعيسى ، وهو كلمة الله ، وكتبه يعني التوراة والإنجيل" [39] ، وقيل: بما تكلم الله به ، وأوحاه إلى أنبيائه وملائكته (وكتبه) أي وصدقت بكتبه التي أنزلها على أنبيائه [40] ، قال السمعاني في تفسيره : وقرئ : ' بكلمة ربها ' فمعنى الكلمات ما أخبر الله تعالى من البشارة بعيسى وصفته وكرامته على الله وغير ذلك . ويقال : بكلمات ربها أي : بآيات ربها . وأما قوله : (بكلمة ربها) هو عيسى عليه السلام [41] . اذن هنا السيدة مريم آمنت بعيسى نبيا وصدقت به كلمة من الله ، كما ان يحيى صدق به وكذلك نبينا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم أيضا صدّق به وذلك في قوله تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ ۖ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ . الأعراف: ١٥٨. فلآية الكريمة فضلاً عن الإقرار بالإيمان بعيسى كلمة الله تمثل دعوة إلى الخلاص من أغلال التخلف والجاهليات عن طريق الإيمان بالله تعالى القادر الحكيم الذي بعث نبيا معروفا بين الناس بفضله وأمانته ونزاهته ، وكذلك يؤمن بالشرائع السابقة ولا يتنكر لها ، قال الطبري : الكلمات :" عني بذلك عيسى بن مريم (عليه السلام) " [42] .

أما الرازي فيقول : الكلمات : واعلم أن هذا إشارة إلى ذكر المعجزات الدالة على كونه نبياً حقاً ، وتقريره : أن معجزات رسول الله صلى الله عليه وسلم كانت على نوعين : النوع الأول : المعجزات التي ظهرت في ذاته المباركة ، وأجلها وأشرفها أنه كان رجلاً أمياً لم يتعلم من أستاذ ، والنوع الثاني : من معجزاته الأمور التي ظهرت من مخارج ذاته مثل انشقاق القمر ، ونبوع الماء من بين أصابعه ، وهي تسمى بكلمات الله تعالى ، ألا ترى أن عيسى (عليه السلام) ، لما كان حدوثه أمراً غريباً مخالفاً للمعتاد ، سماه الله تعالى كلمة . فكذلك المعجزات لما كانت أموراً غريبة خارقة للعادة لم يبعد تسميتها بكلمات الله تعالى ، وهذا النوع هو المراد بقوله : (يؤمن بالله وكلماته) أي يؤمن بالله وبجميع المعجزات التي أظهرها الله عليه ، فبهذا الطريق أقام الدليل على كونه نبياً صادقاً من عند الله [43] . نعم (الكلمات) معجزات لكن الإيمان والتصديق بها لا يكون امرأ مقبولا اذا كان عن طريق خرقها للعادة ؛ لأنها عادة تكون دليلا للمعاندين الذين لا يؤمنون بها ، فكيف وفي هذه الآية المباركة توصيف للنبي الكريم صلى الله عليه وآله وسلم الذي لا يحتاج معجزة لإيمانه وإنما للمعاند كي يؤمن به ، وارى ان وسم الإيمان بالكلمات يتعدى تلك المعجزات التي أشار إليها الرازي إلى الكمالات التي تحصلها إبراهيم فاصبح إماما وتعلمها آدم فتاب الله عليه فهي بالنسبة للنبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم جزء من ذاته المؤمنة وذلك هو وجه الإعجاز والبرهان للذين يشككون بنبوته سواء كان من قومه أو أهل الكتاب .

يقول السيد الطباطبائي : قوله تعالى : " فآمنوا بالله ورسوله النبي الأمي " إلى آخر الآية تفريع على ما تقدم أي إذا كان الحال هذا الحال فآمنوا بي فإني ذاك الرسول النبي الأمي

الذي بُشّر به في التوراة والإنجيل ، وأنا أؤمن بالله ولا أكفر به وأومن بكلماته وهي ما قضى به من الشرائع النازلة علي وعلى الأنبياء السالفين ، واتبعوني لعلكم تفلحون [44] . فاتضح مما سبق ان إطلاق (الكلمة) على حقيقة خارجية تتعدى معنى اللفظ والقول او كما قيل : " المراد بالكلمات ليس ما هو المصطلح عند الناس من جنس القول واللفظ بل المراد منها او من بعضها الأمور العينية سواء كان موجودا خارجيا او حكما الزاميا او عهدا او ميثاقا " [45] .

المبحث الثاني : العدالة والمساواة والوعد الذي لا مبدل له (كلمة الله

يتناول هذا المبحث الآيات القرآنية التي وردت فيها عبارة (الكلمة أو الكلمات) التي اتفق موضوعها حول مفهوم معين كما في العنوان كأن يكون الموضوع المساواة بين الناس وإحقاق الحقّ أوسنة الله في الخلق التي لا مبدلّ لها ، أو وعده تعالى بنصر انبيائه وعباده المؤمنين ومحق الباطل والمنافقين ، فتلك سمات الاله الواحد العادل ، وقد اِجتمعت اكثر من آية في مفهوم آية أخرى اتحدت معها في موضوعها .

1 – قال تعالى : ﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾ آل عمران:٦٤. ، دعوة للبشرية فضلا عن أهل الكتاب إلى ساحة الحوار والتعارف ونبذ الخصام والتخاصم والكراهية عبر مشتركات إنسانية تضيّق هوّة التنازع بين بني الإنسان عبّر القرآن عن تلك المشتركات (كلمة سواء) اهم بنودها الاحترام المتبادل وعدم التعالي على الآخرين ، أي الكلمة التي تحترم الإنسان بصفته الإنسانية وإيمانه الفطري .

وقد تناول المفسرون معنى الكلمة السواء فقيل : يعني كلمة عدل بيننا وبينكم وقيل: يعني لا إله إلا الله وهي كلمة الإخلاص ويقال إلى كلمة تسوي بيننا وبينكم فتصير دماؤكم كدمائنا وأموالكم كأموالنا [46] .

والكلمة هنا كلمة عادلة ووسط تتضمن المبادئ العامة للديانات السماوية ، وكما قال الشيخ البلاغي : " أي مستوية بيننا وبينكم في تلاوتنا جميعا لها فيما هو من كتب الوحي او ينسب إلى الوحي كما يوجد في توراتكم وأناجيلكم وسائر كتبكم التي تنسبونها إلى الوحي من توحيد اللّه وانه هو الإله والرب المدبر لخلقه وحده لا شريك له " [47] ، وقيل : المعنى هلمّوا إلى كلمة فيها إنصاف من بعضنا لبعض ، لا ميل فيه لأحد على صاحبه ، والسواء هو العدل والإنصاف ، وذلك لأن حقيقة الإنصاف إعطاء النصف ، فإن الواجب في العقول ترك الظلم على النفس وعلى الغير ، وذلك لا يحصل إلا بإعطاء النصف ، فإذا أنصف وترك ظلمه أعطاه النصف فقد سوى بين نفسه وبين غيره وحصل الاعتدال [48] .

وقال فتح الله الكاشاني : كلمة سواء أي عدل (بَيْنَنا وبَيْنَكُمْ) لا يختلف فيها الرسل والقرآن والتوراة والإنجيل وغيرها من الكتب الإلهيّة . ويفسّر الكلمة قوله : (أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللّه) بمعنى نوحّده بالعبادة ، ونخلص فيها (ولا نُشْرِكَ بِه شَيْئاً) ولا نجعل له شريكا في استحقاق العبادة ، ولا نراه أهلا لأن يعبد (ولا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللّه) فلا نقول : عزير ابن اللّه ، ولا المسيح ابن اللّه ، ولا نطيع الأحبار فيما أحدثوا من التحريم والتحليل ، لأنّ كلًّا منهم بعضنا بشر مثلنا [49] . أي أنّ محور الكلمة ببنودها الثلاث يدور حول توحيد الله سبحانه وتعالى ليتضح معنى الاستواء وهو الاتفاق على تلك البنود المشتركة لتضمن العدالة بين الناس بلا تعدي ولا مبالغة انطلاقا من الآية نفسها .

وقال فخر الدين الطريحي : إلى كلمة سواء أي ذات استواء لا تختلف فيها الكتب السماوية ، ومثله (صراطا سويا) والصراط السوي : الدين المستقيم ، (مكانا سوى) وسوى أي وسطا بين الموضعين تستوي مسافته على الفريقين [50] وهنا إضافة معنى آخر للكلمة السواء أي الكلمة الوسط التي تستوي فيها الأطراف .

يقول السيد الطباطبائي : الآية خطاب لعامة أهل الكتاب ، والدعوة في قوله : تعالوا إلى كلمة... إلخ بالحقيقة إنما هي إلى الاجتماع على معنى الكلمة بالعمل به وإنما تنسب إلى الكلمة لتدل على كونها دائرة بألسنتهم كقولنا اتفقت كلمة القوم على كذا فيفيد معنى

الإذعان والاعتراف والنشر والإشاعة فالمعنى تعالوا نأخذ بهذه الكلمة متعاونين متعاضدين في نشرها والعمل بما توجبه ، والسواء في الأصل مصدر ويستعمل وصفا بمعنى مساوي الطرفين وسواء بيننا وبينكم أي مساو من حيث الأخذ والعمل بما توجبه [51] .

أمّا الشيخ ناصر مكارم الشيرازي فيقول : والملفت للنظر أن الآية الشريفة تؤكد موضوع التوحيد في ثلاث تعابير مختلفة ، فأولا ذكرت ألا نعبد إلا الله وفي الجملة الثانية ولا نشرك به شيئا وفي المرة الثالثة قالت ولا يتخذ بعضنا بعضا أربابا من دون الله [52] .

وتتبع الشيخ حسن مصطفوي معنى السواء في آيات أخرى وقد دلت جميعها على الاعتدال ، اما من حيث المعنى فكلمة سواء في هذه الآية المباركة تعني " يا أهل الكتاب تعالوا نتوافق في مرتبة متوسّطة معتدلة " [53] .

2- قال تعالى : ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة: ٤٠

ذهب أغلب المفسرين في تفسير هذه الآية المباركة اقصى اليمين واقصى الشمال ، فطائفة منهم جدّ جهدهم في إثبات فضائل أبي بكر الصديق كونه صاحب الرسول في خروجه من مكة إلى المدينة ، حتى ان الرازي قد ذكر ما يقرب عشرين نقطة في فضل أبي بكر ، وطائفة أخري أيضا تبذل جهدها في عدم صحة تلك الفضائل ولا دلالة في الآية عليها ، والسجال محتدم بين الفريقين من المفسرين وغيرهم ، وهذا يوضح ان التوجيه الطائفي للنصوص الدينية يخّلف أزمة معرفية تنساق فيها العاطفة ويقف ويعطل فيها العقل ؛ وحينها يتجه تفسير النص القرآني من ابتغاء المعنى او المراد الرباني إلى إثبات الذات حتى لو كان ذلك على حساب خلق العداوة والكراهية ، وهذا مؤشر خطير في منهج تفسير النص الديني ؛ لأنه يبحث عن الأزمة قبل التعقل .

في النص المبارك تكررت عبارة (الكلمة) في موضعين فمرة أضيفت إلى الكافرين وفي

الأخرى أضيفت لله تعالى ، حتى جيء بذلك من باب التقابل فقيل : " قال ابن عباس : أراد بكلمة الذين كفروا : الشرك ، وأراد بكلمة الله : لا إله إلاَّ الله " [54].

وذهب الشريف الرضي إلى أكثر من ذلك عند قوله : قال جماعة من المفسرين : إن كلمة الذين كفروا ههنا ما سبق من وعدهم بإطفاء نور رسول الله صلى الله عليه وآله ، ونحت أثلته وتعفية شريعته ، وكلمة الله ههنا : ما سبق من وعده تعالى بإعلاء بنيانه ، ورفع أعلامه ، وإبعاد صوته ، وتشريف بيته ، وكفايته أمر أعدائه [55] ، وقال الفخر الرازي :" والمعنى أنه تعالى جعل يوم بدر كلمة الشرك سافلة دنيئة حقيرة ، وكلمة الله هي العليا ، وهي قوله لا إله إلا الله " [56] . ويتفق السيد الطباطبائي مع رأي الشريف الرضي فيقول : " أن المراد بالكلمة في قوله : (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) هو ما قضوا به في دار الندوة وعزموا عليه من قتله صلى الله عليه وآله وسلم وإبطال دعوته الحقة بذلك ، وبقوله : (وكلمة الله هي العليا) هو ما وعد الله نبيه صلى الله عليه وآله وسلم من النصر وإظهار دينه على الدين كله " [57] .

3 – قال تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ إبراهيم: ٢٤ .

من يستقرأ بعض التفاسير يجد التعسف واضحا في الآراء التفسيرية وذلك عن طريق إيجاد المصاديق التفسيرية للنص الشريف حتى يبتعد عن المفهوم العام للآية الكريمة فالآية التي سبقتها تكلمت عن بشرى المؤمنين أهل العمل الصالح الذين جاء فعلهم مصدّقا لقولهم أي وحّدوا الله تعالى في قولهم وتمثل التوحيد سلوكا عمليا ونهجا حياتيا في حياتهم فاستحق قولهم ان يُوصف كلمة طيبة ، و نجد الشيخ الطبرسي يقول :" كلمة طيبة : وهي كلمة التوحيد ، شهادة أن لا إله إلا الله " [58] . قال الزمخشري : والكلمة الطيبة كلمة التوحيد ، وقيل كل كلمة حسنة كالتسبيحة والتحميدة والاستغفار والتوبة والدعوة ، وعن ابن عباس : شهادة أن لا إله إلا الله . وأما الشجرة فكل شجرة مثمرة طيبة الثمار كالنخلة وشجرة التين

والعنب والرمان وغير ذلك ، الكلمة الخبيثة كلمة الشرك وقيل كل كلمة قبيحة ، وأما الشجرة الخبيثة فكل شجرة لا يطيب ثمرها كشجرة الحنظل والكشوث ونحو ذلك [59] .

أمّا محمد جواد مغنية فيذهب بهذا الاتجاه أيضا بقوله : المراد بالكلمة الطيبة كلمة التوحيد والإيمان ، وبالكلمة الخبيثة كلمة الكفر والإلحاد ، والصحيح ان المراد بالأولى كلمة الحق ، أيّ حق ، وبالثانية الباطل أي باطل ، وأفضل الكلمات والأقوال هي كلمة الثورة ، والصرخة الغاضبة في وجوه حكام الجور ، ومن آزرهم من المأجورين والرجعيين لأنهم أصل الداء ، ومصدر البلاء [60] ، وهذا هو التطبيق العملي للتوحيد ولإعلاء شأن الإنسان فمن يوحد الله تعالى حبا وعبادة لا يليق به ان يشرك في حبه وعبادته وطاعته لأجل مصلحة او منصب او هبة .

ونظير هذه الآية الكريمة في كرامة الموحد لله تعالى وعدالة تميزه بإيمانه وانصياعه لأمر ربه متجنبا جاهلية قومه وحميتهم التي تنبأ عن أنفتهم وتكبرهم على غيرهم ممن هم أقل منهم مالا وولدا قوله تعالى : ﴿ فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَىٰ وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ الفتح: ٢٦ ، فقيل هنا كلمة التقوى: الإيمان بالله تعالى ، ذلك ما ذكره الكليني عن الإمام الصادق عليه السلام [61] ، وقيل: هي لا إله الا الله [62] . مما تقدم علمنا المشترك الموضوعي لمعنى (الكلمة) هو التوحيد او كلمة لا إله إلا الله

4- قوله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ يونس: ١٩.

الآية الكريمة تتحدث عن سنة الاختلاف في البشرية وهو أمر من جنس الطبيعة البشرية ، ولكن الأمر المرفوض هو الاختلاف عن الحق واللجوء إلى الباطل موهما نفسه وغيره انه على حق وبالوقت ذاته إيجاد المبررات للتعدي على الآخرين ممن يختلفون عن نسقه الديني او الثقافي او حتى العرقي بدعوى التميز والأفضلية .

قال الشيخ الطبرسي : معناه لولا كلمة سبقت من ربك من أنه لا يعاجل العصاة بالعقوبة إنعاما عليهم في التأني بهم ؛ لقضي بينهم في اختلافهم بما يضطرهم إلى علم المحق من المبطل .

وقيل معنى ذلك " لقضي بينهم " أي فصل بينهم بأن أهلك العصاة وأنجى المؤمنين ، لكنه أخرهم إلى يوم القيامة تفضلا منه وزيادة في الإنعام عليهم [63] .

وقال السيد الطباطبائي : فذكر الله فيها أن اختلافهم كان يقضى أن يحكم الله بينهم بإظهار الحق على الباطل وفيه هلاك المبطلين وإنجاء المحقين لكن السابق من الكلمة الإلهية منعت من القضاء بينهم ، والكلمة هي قوله تعالى لما أهبط الإنسان إلى الدنيا : (ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين) البقرة : 36 [64] .

يقول الشيخ مكارم الشيرازي : وقد يطرح هنا هذا السؤال ، وهو : لماذا لا يرفع الله هذا الاختلاف بواسطة عقاب المشركين السريع ، ليرجع المجتمع الإنساني جميعه موحدا ؟ ويجيب القرآن الكريم مباشرة عن هذا السؤال بأن الحكمة الإلهية تقتضي حرية البشر في مسير الهداية ، فهي رمز التكامل والرقي ، ولو لم يكن أمره كذلك فإن الله سبحانه كان سيقضي بينهم في اختلافاتهم بناء على هذا فإن كلمة في الآية إشارة إلى السنة وقانون الخلقة الذي يقتضي حرية البشر، لأن المنحرفين والمشركين لو كانوا يعاقبون سريعا ومباشرة ، فإن إيمان الموحدين سيكون إجباريا ونتيجة للخوف والرهبة ، ومثل هذا الإيمان لا يعد فخرا ولا دليلا على التكامل ، والله سبحانه قد أجل العقاب والجزاء لعالم الآخرة لينتخب الصالحون والطاهرون طريقهم بحرية تامة [65] .

ومثل هذه الآية المتقدمة قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ هود: ١١٠ ، هذه الآية مسوقة للاعتبار بالأقوام الأخرى في رفضهم خط الإصلاح وإقامة العوج في شؤون حياتهم ، لكن الركود الذي يصيب أمة معينة يصعب تغييره عندها يبعث الله النبيين لإلقاء الحجر في المياه الراكدة علّ تفيق العقول من رقدتها ، وحتما سيواجه بالرفض والاتهام في بادئ الأمر لكن مع الصدق والإصرار تهون الصعاب هذا ما واجهه موسى عليه السلام مع قومه وكذلك نبيتا الكريم محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، "اخبر الله تعالى أنه أعطى موسى الكتاب يعني التوراة وإن قومه اختلفوا فيه يعني في صحة الكتاب الذي انزل إليه ، وأراد بذلك تسلية

النبي صلى الله عليه وسلم عن تكذيب قومه إياه وجحدهم للقرآن المنزل عليه ، فبين له أنه كذلك فعل قوم موسى بموسى ، فلا تحزن لذلك ، ولا تغتم له ، ثم قال (ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم) معناه ولولا خبر الله السابق بأنه يؤخر الجزاء إلى يوم القيامة لما في ذلك من المصلحة ، لجعل الثواب والعقاب لأهله" [66] ، وقال الشيخ مغنية : " المراد بكلمة اللّه قضاؤه بتأخير العذاب " [67] . وان تأخير العذاب يكون لمصلحة حتى يستحق كل عامل بما عمل ومثل الآية المتقدمة في معنى الكلمة أي قضاؤه في تأخير العذاب قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ فصلت: ٤٥ ، وأيضا آية أخرى تنص على ان الكلمة هي وعد الله تعالى الذي لا مبدل له وهي قوله تعالى : ﴿ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴾ طه: ١٢٩، " إن هذه السنة الإلهية التي ذكرت في مواضع عديدة من القرآن باسم (كلمة) إشارة إلى قانون الخلقة المبتني على حرية البشر ، لأن كل مجرم إذا عوقب مباشرة وبدون أن يمهل ، فإن الإيمان والعمل الصالح سيتصف بالجبر تقريبا ، وسيكون على الأغلب خوفا من العقاب الآني ، وبناء على هذا فسوف لا يكون وسيلة للتكامل الذي هو الهدف الأصلي" [68] ، لذا سيؤخر العذاب ولا يلزمهم بمجرد ارتكاب الخطأ ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَمَا تَفَرَّقُوا إِلَّا مِن بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِن بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴾ الشورى: ١٤، هنا الاختلاف المذموم لان القرآن قيده بقيد العلم وهل بعد العلم إلا الجهالة والبغي ، ولكن وعد الله تعالى نافذ لا يعجل العذاب وإنما يؤخره ليوم تشخص فيه الأبصار ، وأيضا قوله تعالى : ﴿ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ الشورى ﴾ : ٢١ ، " أي القضاء السابق بتأخير الجزاء ، أو يقال ولولا الوعد بأن الفصل أن يكون يوم القيمة " [69] .

5 – قال تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾ هود: ١١٩ . هذه طائفة من الآيات المباركة فضلا عن (الكلمة) جمعها جامع آخر وهو تمامها فقيل في معناها " أي حقت كلمته تعالى وأخذت مصداقها منهم بما ظلموا واختلفوا في

الحق من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم ، والكلمة هي قوله : " لأملأن جهنم "والأصل في هذه الكلمة ما ألقاه الله تعالى إلى إبليس لعنه الله إذ قال : (فبعزتك لا غوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المخلصين قال فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين) : ص : 85 والآيات متحدة المضمون يفسر بعضها بعضا "[70] ، والكلمة عند الأندلسي هي القضاء وذلك في قوله : " اي نفذ قضاؤه وحق أمره "[71] ، ولا راد لذلك القضاء كما في الآية القائلة : ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾ الزمر: ١٩ والآية الأخرى : ﴿ وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾ الزمر: ٧١ ، وقوله تعالى :﴿ كَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ فَسَقُوا أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ٣٣ ، وقوله تعالى : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ يونس: ٩٦ ، وقوله تعالى : ﴿ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ﴾ غافر: ٦ ، نجد القاسم المشترك في الآيات الكريمة الوعد بالعذاب للكافرين .

وثمة امر ينبغي الالتفات له وهو الاختلاف في بناء مفهوم (الكلمة) فمرة جاء بتاء مربوطة وأخرى طويلة ، ويكاد يتفق أغلب المفسرين ان منشأ هذا الاختلاف هو اختلاف في القراءة ، قال الشيخ الطوسي : قرأ أهل المدينة (كلمات) على الجمع ، ومن قرأ على التوحيد احتمل ذلك في وجهين ، الأول: ان يكون جعل ما أوعد به الفاسقين كلمة وإن كانت في الحقيقة كلمات ، الثاني: أن يريد بذلك الجنس وقد أوقع على بعض الجنس ، ومن جمع فأنه جعل الكلمات التي يُوعدون بها كل واحدة منها كلمة ثم جمع فقال كلمات [72] ، وقال الشيخ الطبرسي : " من قرأ (كلمة) قال قد وقع المفرد على الكثرة فلذلك أغنى عن الجمع ، ومن قرأ بالجمع فلأنه لما كان جمعا بالمعنى جمعوا " [73] .

بينما في قوله تعالى : ﴿ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ الْحُسْنَى عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴾ الأعراف: ١٣٧. ففي هذه الآية الكريمة التمام في الكلمة يعني تحقق الوعد الإلهي لبني إسرائيل بانتصارهم على الفرعونيين بسبب صبرهم وثباتهم [74] ، والنبأ العظيم من الله تعالى ان الظلم سيزول ولو بعد حين لان فاقد أسباب ديمومته ، كما في

قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴾ الأنفال: ٧ .

كما معلوم ان هذه الآية تتكلم عن خروج المسلمين لقافلة أبي سفيان وأنبأت الآية عن رغبة كثير من المسلمين ان يحصلوا على الغنائم من دون عناء وتعب ، ولكن الله تعالى وعد المؤمنين منهم بالعزة والنصر على الرغم من قلة عددهم وأنصارهم "والمراد بالطائفتين العير والنفير والعير قافلة قريش وفيها تجارتهم وأموالهم وكان عليها أربعون رجلا منهم أبو سفيان بن حرب ، والنفير جيش قريش وهم زهاء الف رجل " [75] .

قال الزمخشري :(بكلماته) بآياته المنزلة في محاربة ذات الشوكة ، وبما أمر الملائكة من نزولهم للنصرة ، وبما قضى من أسرهم وقتلهم وطرحهم في قليب بدر [76] .

يقول الشيخ محمد جواد مغنية : والمراد بكلماته وعده بأن تكون إحدى الطائفتين للمسلمين ، والمعنى إنكم أيها المسلمون أردتم الحطام الزائل ، وأراد اللّه أن ينصركم على صناديد قريش أعداء اللّه وأعدائكم ، ويهلكهم بأيديكم ، ويستأصل الكافرين منهم ، ويحقق وعده بالنصر لكم ، فأيهما خير وأفضل : هذه العزة والكرامة ، أو الأباعر وحمولتها[77] .

يقول السيد الطباطبائي : وكلمات الله هي ما قضى به من نصرة أنبيائه وإظهار دينه الحق ، قال تعالى : (ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين انهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون) الصافات 173، [78] .

ومثال الآية المتقدمة آيتان كريمتان ورد فيهما لفظ (يحق الحق بكلماته) هما قوله تعالى : ﴿ وَيُحِقُّ اللَّهُ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴾ يونس: ٨٢ . حيث وردت في سياق محاجة موسى عليه السلام مع فرعون والسحرة الذين جاء بهم ، فكان وعد الله تعالى بإحقاق الحق ودحض الباطل ، يقول الآلوسي : بكلماته اي بأوامره وقضاياه ، أو بوعده النصر لمن جاء به وهو سبحانه لا يخلف ذلك ، وقيل: أي بما ينزله مبيناً لمعاني الآيات التي أتى بها نبيه عليه السلام [79] .

اما الآية الثانية فهي قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِنْ يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴾ الشورى: ٢٤ . قال الشيخ الطوسي : أي ويثبت الحق بأقواله التي ينزلها على أنبيائه يتبين بها كذب من ادعى على الله كذبا في أنه نبي ، ولا يكون كذلك [80] ، وقيل : " ويزهق اللَّه الباطل ويحق الحق بالدلائل والبينات الواضحة الواقعة ، وقد أيدك اللَّه بها ، وجعل كلمتك العليا وكلمة أعدائك السفلى على الرغم من كثرتهم وتظاهرهم عليك وعلى الإسلام " [81] .

وقيل : " والمراد بالكلمات ما ينزل على الأنبياء من الوحي الإلهي والتكليم الربوبي ويمكن أن يكون المراد نفوس الأنبياء من حيث إنها مفصحة عن الضمير الغيبي"[82] ، مما تقدم يتضح الترابط الظاهري بي الآيات الكريمة ان معاني (الكلمات) وعد الله تعالى الذي لا مبدل له والذي حق عباده سواء من آمن او من كفر وكأن ذلك سبب ونتيجة فمن أتى بأسباب النصر نُصر ، ومن جاء بأسباب الهزيمة والخذلان هُزم .

6 – قال تعالى ﴿ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴾ الكهف: ٥ .

الذي وصف الكلمة بالكبر الله سبحانه وتعالى دليلا على شناعتها وتجاوزها الحد الله وتعالى فما السرّ وراء هذا التوصيف ؟ قيل : كبرت تلك الكلمة كلمة عند الله ، وهي قولهم (اتخذ الله ولدا) أي : كبرت من كلمة وقيل : فيه معنى التعجب ، كما يقال لقاض قضى بالحق : ما أقضاه [83] .

أمّا سبب تقييد القرآن بخروج هذه الكلمة من أفواههم فذكره الرازي في تفسيره : " يدل على أن هذا الكلام مستكره جداً عند العقل ؛ كأنه يقول : هذا الذي يقولونه لا يحكم به عقلهم وفكرهم البتة لكونه في غاية الفساد والبطلان ، فكأنه شيء يجري به لسانهم على سبيل التقليد " [84] ، وفي ذلك كناية عن العناد والمكابرة ، فجاء التوصيف دقيقا ورشيقا ؛ لان الكلمة أمر مسلم به خروجها من الفم ، ولكن الإيمان يتجاوزه إلى القلب ، فلما وُصِفت بخروجها من الفم عنى بذلك انْ لا مستقر لها في القلب ، وإنما في الفم فقط عنادا وتكبرا

، وقريب من معنى الآية المتقدم قوله تعالى : ﴿حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ (99) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ لمؤمنون: ٩٩ – ١٠٠ ، يقول الزمخشري : والمراد بالكلمة الطائفة من الكلام المنتظم بعضها مع بعض وهى قوله – لعلى أعمل صالحا فيما تركت – (هو قائلها) لا محالة لا يخليها ولا يسكت عنها لاستيلاء الحسرة عليه وتسلط الندم ، أو هو قائلها وحده لا يجاب إليها ولا تسمع منه [85] ، كلا حرف ردع وزجر ، والمراد بالكلمة قوله : « ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صالِحاً » والمعنى لا رجوع أبدا ، حتى لو استجاب اللّه لطلب هذا المقصر وأرجعه ثانية إلى الحياة لعاد إلى طغيانه وعصيانه ، أما قوله : لعلي أعمل صالحا فهو مجرد كلام بلا معنى ولا وفاء ، وقد أوضح سبحانه ذلك في الآية 28 من سورة الأنعام : « ولَوْ رُدُّوا لَعادُوا لِما نُهُوا عَنْهُ وإِنَّهُمْ لَكاذِبُونَ » [86] .

وقال السيد الطباطبائي : اي لا يرجع إلى الدنيا إن هذه الكلمة " أرجعوني لعلي أعمل صالحا فيما تركت " كلمة هو قائلها أي لا أثر لها إلا أنها كلمة هو قائلها ، فهو كناية عن عدم إجابة مسألته [87] . ويجري في هؤلاء أصحاب الكلمات غير المؤثرة في القلب إيمانا وسلوكا مستقيما وعد الله تعالى كما وعد المكذبين الذين كذبوا بآياته وكتبه ورسله ، فطالما تنطلي الكلمات الرنانة والبراقة والمعسولة في الحياة الدنيا على كثير من الناس ولكنها كلمات لا تتجاوز التراقي الى القلب ؛ لذا في يوم الفصل يظهر زيف هذه الكلمات وتتضح معالم الخداع وتنكشف السبل الملتوية التي عاش بها أصحابها دهرا وربما امتلكوا أمرا ، لكن حبل الكذب والنفاق قصير ونهايته معتمة ، حتى يأتي وعد الله الذي لا مردّ له .

7 – قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ ﴾ الأنعام: ٣٤ .

هذه الآية المباركة ما اختلف المفسرون بشأنها اختلافا كبيرا ، فقد قال الطبري : لا مغير لكلمات الله . وكلماته تعالى : ما أنزل الله إلى نبيه محمد (ص) من وعده إياه النصر على من خالفه وضاده ، والظفر على من تولى عنه وأدبر [88] ، أما الشيخ الطوسي : " لا مبدل

لكلمات الله " معناه لا أحد يقدر على تكذيب خبر الله على الحقيقة ، ولا على إخلاف وعده فان ما أخبر الله به ان يفعل بالكفار ، فلابد من كونه لا محالة ، وما وعدك به من نصره فلابد من حصوله ، لأنه لا يجوز الكذب في أخباره ، ولا الخلف في وعده وقيل : معناه انه لا مبطل لحججه وبراهينه ولا مفسد لأدلته [89] .

يقول الشيخ محمد جواد مغنية : يقول سبحانه لنبيه : إنْ يكذبوك فقد كُذبت رسل من قبلك ، وأوذوا في سبيل رسالته ، فصبروا على الإيذاء ، حتى أتاهم النصر، فاصبر كما صبروا ، واللَّه ينصرك كما نصرهم هذا هو المحور الذي تدور عليه الحياة ، ولا ينتصر الحق إلا إذا وجد أنصارا يصبرون على الجهاد في سبيله ، ويدفعون ثمنه من أنفسهم وأهلهم وأموالهم ، وهذا هو معنى (لا مبدل لكلمات الله) [90] .

قال السيد الطباطبائي : (ولا مبدل لكلمات الله) في سياق النفي ينفى أي مبدل مفروض سواء كان من ناحيته تعالى بأن يتبدل مشيته في خصوص كلمة بأن يمحوها بعد إثباتها أو ينقضها بعد إبرامها أو كان من ناحية غيره تعالى بأن يظهر عليه ويقهره على خلاف ما شاء فيبدل ما أحكم ويغيره بوجه من الوجوه ، ومن هنا يظهر أن هذه الكلمات التي أنبأ سبحانه عن كونها لا تقبل التبديل أمور خارجة عن لوح المحو والإثبات ، فكلمة الله وقوله وكذا وعده في عرف القرآن هو القضاء الحتم الذي لا مطمع في تغييره وتبديله [91] .

ونظير هذه الآية الكريمة آيات اخرى تعطي الوعد الإلهي ذاته بالنصر مرة وعدم إخلاف العِدة مرة أخرى منها قوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ يونس: ٦٤ ، حيث الآية تتكلم عن طمأنة المؤمنين وإعطائهم وعدا ان لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، وقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ الكهف: ٢٧ . ففيها (الكلمات) تعني الوعد الالهي " وعلى ذلك يكون معنى الآية : لقد تحقق وعدنا بالصدق وبالعدل ، وهو أنه ليس لأحد القدرة على تبديل أحكام الله " [92] ، وقوله تعالى :﴿) لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴾ يونس: ٦٤ ، قال الشيخ الطوسي :

معناه لا خلف لما وعد الله تعالى به من الثواب بوضع كلمة أخرى مكانها بدلا منها ، لأنها حق والحق لا خلف له بوجه . وقوله " ذلك هو الفوز العظيم " إشارة إلى هذه البشرى المتقدمة بأنه الفوز الذي يصغر كل شئ في جنبه [93] ، وكذلك قوله تعالى : ﴿ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ ﴾ الصافات: ١٧١ حيث عنت أيضا الوعد بالنصر ومن خلال السياق القرآني حيث ان الآية التي تلتها أنبأت انهم هم المنصورون والغالبون ولو بعد حين .

المبحث الثالث: البحر المداد والشجر الأقلام مقاربة تمثيلية في الإعجاز

يتناول هذا المبحث آيتين مباركتين مثلتا إعجازا باهرا وردا مجلجلا لمن قرن علمه بعلم الله تعالى عبر تشابيه واستعارات أعطت زخما تصويريا وبعدا دلاليا وذلك عن طريق المقاربة بين الشجر وأعواده باعتباره أقلاما ، والبحر بـ أل الجنس أي كل بحر يعضده سبعة ابحر باعتباره مدادا او حبرا ولكن كل ذلك يعجز عن مجاراة كلمات الله بعدها كمال مطلق ولا متناهي امام الشجر والبحر المحدود والمتناهي ، والآيتان هما قوله تعالى : ﴿ قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ تَنْفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ﴾ الكهف: ١٠٩، وقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ لقمان: ٢٧ .

في سبب نزول الآية الأولى قيل : قال ابن عباس : قالت اليهود لما قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم " وما أوتيتم من العلم إلا قليلا " كيف وقد أوتينا التوراة ، ومن أوتي التوراة فقد أوتي خيرا كثيرا فنزلت – قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي [94] .

كثير من الشعوب تمرّ بمزاج منتفخ نظرا لما تتمتع به من ميزات معينة ، كميزة التقدم العلمي والتكنولوجي او العسكري او التاريخي ... الخ فيصبح العلو والترفع سلوكا لدى أبناء المجتمع بدافع التميز على الآخرين والنظر إليهم بنظرة يشوبها الإقلال من شأنهم واستصغارهم ، ومن الميزات التي يتبجح بها الإنسان فردا او مجتمعا هي الميزة الدينية او

الاستئثار بالدين كما صوّر الله تعالى ذلك عندما ذكر المزاجية العامة لدى اليهود بادعائهم البنوة لله تعالى واختياره لهم من دون العالمين ، وانهم الديانة الأولى وينتسبون لإبراهيم (عليه السلام) على الرغم من ان القرآن نفى ذلك (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا) ، إذن تلك الأسبقية الدينية أوجدت لديهم شعورا بالتعالي على الآخرين وانتفاخا في الذات يحاولون جهدهم التقليل من شأن الآخرين ، ومهما بلغ الآخرون لا يصلون إلى منزلتهم وفضلهم ، وكتب السير حافلة بسرد أحداث كثيرة حاول اليهود فيها التقليل من شأن الإسلام والمسلمين ليصل الحدّ الى إغراء العداوة بينهم ، ومن هذه الأحداث ما ذكرته هذه الآية المباركة محلّ البحث عندما نزل قوله تعالى : وما أوتيتم من العلم إلا قليلا ...هنا برزت روح التميز والاستعلاء بقولهم كيف يكون ذلك وعندنا التوراة ففيها كل علم !!! .

جاء الردّ صاعقا والدلالة عميقة والإعجاز واقعا ملموسا ، كيف يكون لكم ان تضعوا علمكم مقابل علم الله تعالى ، على ان المراد بكلمات الله لا يمكن حصرها بعلم الله فقط ، كما ان كلمات الله التي تاب بها على آدم ، والتي اختبر بها إبراهيم فلما أتمهن اصبح للناس إماما غير محصورة في مرتبة واحدة ، فعلم هذه الكلمات هي كمالات إنسانية يصل إليها الإنسان عند تدرجه في مراتب توحيد الله تعالى ، فكما ان التوحيد كلماته غير منتهية كذلك علم الله وقدرته تعالى غير محدودين ؛ فلا تشمخوا بإنوفكم كِبرا واستعلاء لأنكم إن علمتم شيئا غابت عنكم أشياء .

قال الطبري : يقول عز ذكره لنبيه محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) : قل يا محمد : لو كان البحر مدادا للقلم الذي يكتب به كلمات ربي لنفد ماء البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا يقول : ولو مددنا البحر بمثل ما فيه من الماء مددا ، من قول القائل : جئتك مددا لك ، وذلك من معنى الزيادة ، ولو جئنا بمثله مددا ، كأن قارئ ذلك أراد : لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي ، ولو زدنا بمثل ما فيه من المداد الذي يكتب به [95] ، وقال الشيخ الطبرسي : أراد بالكلمات ما يقدر سبحانه على أن يخلقه من الأشياء ، ويأمر به ، كما قال في عيسى عليه السلام : (وكلمته ألقاها إلى مريم) وقيل : أراد بالكلمات ما وعد لأهل الثواب ، وأوعد لأهل العقاب (لنفد البحر) أي : لفني ماء البحر (قبل أن تنفد

كلمات ربي) وقيل : إن كلماته المراد بها مقدوراته ، وحكمته ، وعجائبه [96] .

يقول الزمخشري : لو كتبت كلمات علم الله وحكمته وكان البحر مدادا لها ، والمراد بالحبر الجنس (لنفد البحر قبل أن تنفد) الكلمات (ولو جئنا) بمثل البحر مدادا لنفد أيضا والكلمات غير نافدة [97] .

يقول الفخر الرازي : والمعنى لو كتبت كلمات علم الله وحكمه وكان البحر مداداً لها والمراد بالبحر الجنس لنفد قبل أن تنفد الكلمات ، تقرير الكلام أن البحار كيفما فرضت في الاتساع والعظمة فهي متناهية ومعلومات الله غير متناهية والمتناهي لا يفي البتة بغير المتناهي [98] .

راي جميل من الفخر الرازي ، فمهما كانت المبالغة من عظمة البحار وكثرة الأشجار لكنها تبقى محدودة فلا يمكن مقارنتها بغير المحدود او اللامتناهي . وقيل : انّ هذه الإطلاقات كلّها إنّما هي باعتبار الكلمة التّدوينيّة ، وامّا الكلمة التكوينيّة فالمراد بها الوجودات الجامعة المشتملة على الحروف الكونيّة ولذا يطلق على الأنبياء والحجج عليهم السّلام وكذا أطلقت (على عيسى) عليه السلام [99]، وقيل : وليس المراد بكلمات اللّه هنا الألفاظ المؤلفة من الحروف الهجائية ، ولا الأمر الفعلي الذي هو عبارة عن قوله كن فيكون ،لأن هذا الأمر واحد لا تعدد فيه :(وما أَمْرُنا إِلَّا واحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ) القمر:50 ، وإنما المراد بكلماته هنا القدرة على إيجاد الكائنات متى شاء، وقدرته تعالى على إيجاد الأشياء باقية ببقائه [100] .

يقول السيد الطباطبائي معارضا بعض آراء المفسرين كون الكلمات هي أوامر الله تعالى : الكلمة تطلق على الجملة كما تطلق على المفرد ومن المعلوم أنه تعالى لا يتكلم بشق الفم وإنما قوله فعله وما يفيضه من وجود كما قال : " إنما قولنا لشئ إذا أردناه أن نقول له كن فيكون " النحل : 40 وإنما تسمى كلمة لكونها آية دالة عليه تعالى ومن هنا سمى المسيح كلمة ومن هنا يظهر أنه ما من عين يوجد أو واقعة تقع إلا وهي من حيث كونها آية دالة عليه كلمة منه إلا أنها خصت في عرف القرآن بما دلالته ظاهرة لا خفاء فيها ولا بطلان ولا تغير ومن هنا يظهر أن حمل الكلمات في الآية على معلوماته أو مقدوراته تعالى أو مواعده لأهل

الثواب والعقاب إلى غير ذلك مما ذكره المفسرون غير سديد . فقوله : " قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي " أي فرقمت الكلمات وأثبتت من حيث دلالتها بذاك البحر المأخوذ مدادا لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربي . وقوله : " ولو جئنا بمثله مددا " أي ولو أمددناه ببحر آخر لنفد أيضا قبل أن تنفد كلمات ربي [101] .

أمّا الآية الثانية فهي مشابهة للأولى من حيث سعة كلمات الله تعالى والتشبيه بالبحر والشجر مدادا وأقلاما حتى قيل فيها سبب النزول نفسه ، فقيل : ولو أن شجر الأرض كلها بريت أقلاما والبحر يمده يقول : والبحر له مداد ، والهاء في قوله يمده عائدة على البحر . وقوله من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله وفي هذا الكلام محذوف استغنى بدلالة الظاهر عليه منه ، وهو يكتب كلام الله بتلك الأقلام وبذلك المداد ، لتكسرت تلك الأقلام ، ولنفد ذلك المداد ، ولم تنفد كلمات الله [102] ، ولا بد من الإشارة إلى كلمة (يمده) فمرة يقال في معناها أنها تعني المدد أي الإعانة كما يذهب لذلك السيد الطباطبائي ، وأخرى تعني المداد أي الحبر كما تقدم في رأي الطبري والرازي ، وإشارة أخرى ذكرها الرازي هي من روعة الدلالة القرآنية في المبالغة في إعجاز الذين يدعون علما ويجعلونه في قبال علم الله تعالى ، وهي سر توحيد الشجرة وجمع الأقلام وذلك في قوله : وحّد الشجرة وجمع الأقلام ولم يقل ولو أن ما في الأرض من الأشجار أقلام ولا قال ولو أن ما في الأرض من شجرة قلم إشارة إلى التكثير ، يعني ولو أن بعدد كل شجرة أقلاماً وقوله والبحر يمده تعريف البحر باللام لاستغراق الجنس وكل بحر مداد ، ثم قوله :(يمده من بعده سبعة أبحر) إشارة إلى بحار غير موجودة ، يعني لو مدت البحار الموجودة بسبعة أبحر أُخر، على ان السبعة لا تعني الانحصار وإنما إشارة الى الكثرة لنفدت وما نفد علم الله وقدرته [103].

يقول السيد الطباطبائي : (من شجرة) بيان للموصول والشجرة واحد الشجر وتفيد في المقام – وهي في سياق (لو) – الاستغراق أي كل شجرة في الأرض ، والمراد بالبحر مطلق البحر ، وقوله : (يمده من بعده سبعة أبحر) أي يعينه بالانضياف إليه سبعة أمثاله والظاهر أن المراد بالسبعة التكثير دون خصوص هذا العدد ، فالمعنى : ولو جعل أشجار الأرض أقلاما وأخذ البحر وأضيف إليه سبعة أمثاله وجعل المجموع مدادا فكتب كلمات الله

– بتبديلها ألفاظا دالة عليها – بتلك لأقلام من ذلك المداد لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات الله لكونها غير متناهية ؛ وسيقت هذه الآية للدلالة على سعة تدبيره وكثرة أوامره التكوينية في الخلق والتدبير إلى حيث ينفد البحر الممدود بسبعة أمثاله لو جعل مدادا وكتبت به أشجار الأرض المجعولة أقلاما قبل أن ينفد أوامره وكلماته [104] .

مما تقدم يتضح ان معنى الكلمات في الآيتين المتقدمتين منهم من حملها على علم الله وقدرته ولا سيما ان سبب النزول يعضد ذلك ، ومنهم من حملها على أنها سيقت للتشبيه فقط بين المتناهي واللامتناهي .

الخاتمة والنتائج

إن البحث القرآني يثري باحثه ، وفي ضوء ذلك تم اطّلاع الباحث على دلالات ومعاني مصطلح او مفهوم (الكلمة) في القرآن الكريم بعد السياحة في آراء المفسرين وما استندوا عليه من ركائز في التفسير منها كتب الحديث الشريف واللغة والمعاني ، فاتضح التباين فيما بينهم تبعا لمناهجهم التفسيرية ومذاهبهم الكلامية ، ومن اللافت للنظر حمل المذهب الكلامي على المنهج التفسيري في أحيان كثيرة يكون تعسفا غيرَ سديد ومحمود ؛ لأنه تغليب للمزاج المذهبي او الفكري على حساب المنهج القرآني ، لذا عمد هذا البحث إلى تقصي الآراء المتباينة مشيرا إلى اختلافها كما تمت الإشارة إلى اتفاقها ليخرج بمحصلة نهائية او نتيجة مفادها تعدد وجهات النظر، وكذلك التجلي الأكبر لمعاني الكلمة في القرآن الكريم هو التوحيد ثم يشعّ منه كل كمال ديني سواء كان بشريا ام إلهيا.

أمّا اهم النتائج التي توصل إليها البحث فهي :

1- يختلف معنى (الكلمة) في المصطلح القرآني من آية لأخرى حسب السياق ، واحيانا يتفق بالهدف حتى مع اختلاف السياق .

2- من معاني الكلمة في القرآن الكريم ولا سيما عند إطلاقها على عيسى عليه السلام

الأمر القاطع والتصيّر الذي لا رادّ له بمعنى (كن فيكون) فعنت الإرادة والمشيئة الحكيمة .

3- مصطلح (الكلمات) التي وردت في سياق الكلام عن آدم وإبراهيم (عليهما السلام) ، عنت في بعض من مصاديقها كمالات إنسانية ترقّى لها الأنبياء عبر مراتب توحيدهم لله تعالى تميزوا بها عن باقي الخلق فاستحقوا الإشارة والإشادة .

4- اتحاد معاني كثير من الآيات التي وردت (الكلمة) في سياقها على معنى أمر الله وقضائه المبرم الذي لا مبدل له .

5- دلت (الكلمات) في بعض من معانيها على علم الله تعالى ، وقد تحدى الله تعالى من يدعي علما ان يقابله بعلم الله تعالى فانه مهما بلغ في العلم فهو متناه ونافد وعلم الله (كلماته) غير متناهية ولا تنفد .

6- الرابط الموضوعي لمعنى (الكلمة) هو التوحيد لله سبحانه وتعالى ، فالعدالة والوعد الذي لا مبدل له وقبل كل ذلك الأعيان المطهرة لجميع الأنبياء والأولياء الصالحين كل ذلك مثل مراتب التوحيد لله تعالى حتى ان المنزلة تُعرف بمرتبة التوحيد .

هوامش البحث

(1) ينظر : معجم مقاييس اللغة ، ابن فارس ، 5 / 131 .

(2) ينظر : تاج العروس ، مرتضى الزبيدي ، 17 / 624 .

(3) ينظر : شرح قطر الندى وبل الصدى ، 11 .

(4) ينظر : المصدر نفسه .

(5) تفسير السراط المستقيم ، حسين البروجردي ، 5 / 331 .

(6) ينظر : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، 4 / 440 .

(7) الكافي ، 8/ 305 .

(8) صحيح البخاري ، 4 / 101 ، كتاب بدء الخلق .

(9) ينظر : تفسير القمي ، 1 / 44 .

(10) التبيان في تفسير القرآن ، 1 / 169 .

(11) التفسير الكبير ، 3 / 19 .

(12) تفسير ابن عربي ، 1 / 49 .

(13) الميزان ، 5 / 490 .

(14) التحرير والتنوير ، ابن عاشور ، 1 / 438 .

(15) روح المعاني ، 1 / 237 .

(16) الخصال ، 305 .

(17) المستدرك على الصحيحين ، الحاكم النيسابوري ، 2 / 266 . وينظر : السنن الكبرى ، البيهقي ، 8 / 325 .

(18) التبيان ، 1 / 466 .

(19) الجامع لاحكام القران ، 2 / 97 .

(20) البحر المحيط ، 1 / 547

(21) التفسير الكاشف ، 1 / 196 .

(22) الميزان ، 1 / 270 .

(23) تفسير الامثل ، 1 / 368 .

(24) تفسير ابن عربي ، 1 / 73 .

(25) التحرير والتنوير / ابن عاشور ، 1 / 703 .

(26) معاني الاخبار ، 135 .

(27) عمدة القارئ ، 19 / 159 .

(28) تلخيص البيان في مجازات القرآن ، 301 .

(29) ينظر : جامع البيان في تأويل آي القرآن ، 25 / 81 .

(30) ينظر : التفسير الكبير ، 27 / 208 .

(31) ينظر : الميزان في تفسير القرآن ، 18 / 96 –97 .

(32) ينظر : الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، 16 / 40 – 41 .

(33) التبيان في تفسير القرآن ، 2 / 450 .

(34) ينظر : المفردات ، 440 .

(35) ينظر : التفسير الكبير ، 8 / 63 .

(36) الميزان في تفسير القرآن ، 3 / 177 .

(37) ينظر : بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام ، محمد باقر الملكي ، 63 .

(38) ينظر : حقائق التأويل ، 94 – 95 .

(39) جامع البيان عن تاويل آي القرآن ، الطبري ، 28 / 219

(40) التبيان في تفسير القرآن ، الشيخ اتلطوسي ، 10 / 55 .

(41) تفسير السمعاني ، 5 / 480 .

(42) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 9 / 117 .

(43) مفاتح الغيب ، 15 ، 29 –30 .

(44) الميزان في تفسير القرآن ، 8 / 284 .

(45) بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام ، محمد باقر الملكي ، 63 .

(46) تفسير السمرقندي ، 1 / 246 .

(47) آلاء الرحمن في تفسير القرآن ، محمد جواد البلاغي ، 1 / 295 .

(48) التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، 8 / 91 .

(49) ينظر : زبدة التفاسير ، 1 / 503 .

(50) ينظر : تفسير غريب القرآن ، 39 .

(51) الميزان ، 3 / 246– 247 .

(52) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، 2 / 538 .

(53) التحقيق في كلمات القرآن الكريم ، 5 / 279 .

(54) عمدة القاري ، العيني ، 16 / 173 .

(55) ينظر : حقائق التأويل ، 98 .

(56)التفسير الكبير ، 16 / 69 .

(57) الميزان في تفسير القرآن ، 9 / 283 . وينظر : روح المعاني ، الآلوسي ، 10 / 98 .

(58) مجمع البيان في تفسير القآن ، 6 / 74 .

(59) ينظر : الكشاف ، 2 / 376 .

(60) ينظر التفسير الكاشف ، 4 / 434 – 444 .

(61) ينظر: الكافي ، 2 / 15 ، باب ان السكينة هي الايمان .

(62) ينظر : مسند احمد بن حنبل ، 5 / 138 ، سنن الترمذي ، 5 / 62 ، جامع احاديث الشيعة ، ، 13 / 137.

(63) التبيان في تفسير القرآن ، 5 / 356 .

(64) الميزان في تفسير القرآن ، 10 / 32 .

(65)الامثل في تفسر كتاب الله المنزل ، 6 / 236 .

(66) التبيان ، الشيخ الطوسي ، 6 / 73 .

(67) التفسير الكاشف ، 4 / 272 .

(68) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ، 10 / 108 .

(69) التفسير الكبير ، الرازي ، 27 / 163 .

(70) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطبائي ، 11 / 64 .

(71) المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، ابن عطية الاندلسي ، 3 / 216 .

(72) ينظر: التبيان في تفسير بالقرآن، الشيخ الطوسي، 5/ 373، وينظر: التفسير الكبير ، الفخر الرازي ، 17 / 87 .

(73) مجمع البيان ، 4 / 143 .

(74) ينظر: التفسير الكبير، الرازي، 14/ 221، وينظر: تفسير الامثل ، مكارم الشيرازي، 5 / 185 .

(75) الميزان في تفسير القرآن ، السيد الطباطبائي ، 9 /19 .

(76) الكشاف ، 2 / 145 .

(77) التفسير الكاشف ، 3 / 455 .

(78) الميزان في تفسير القرآن 9 / 19 .

(79) ينظر : روح المعاني ، 11 / 167 .

(80) التبيان في تفسير القرآن ، 9 / 160 .

(81) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، 6 / 523 .

(82) الميزان في تفسير القرآن ، الطباطائي ، 18 / 50 .

(83) معاني القرآن ، النحاس ، 4 /214 .

(84) التفسير الكبير ، 21 / 78 .

(85) الكشاف ، 3 / 42 .

(86) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، 5 / 388 .

(87) الميزان في تفسير القرآن ، 15 / 68 .

(88) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 7 / 241 .

(89) التبان في تفسير القرآن ، 4 / 122 .

(90) التفسير الكاشف ، 3 / 182 .

(91) الميزان في تفسير القرآن ، 7 / 63 .

(92) الامثل في تفسير كتاب الله المنزل ، الشيرازي ، 4 / 441 .

(93) التبيان في تفسير القرآن ، 5 / 403 .

(94) ينظر اسباب النزول ، الواحدي ، 202 .

(95) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، 16 / 50 .

(96) مجمع البيان ، 6 / 495 .

(97) الكشاف ، 2 / 501 .

(98)التفسير الكبير 21 / 176 .

(99) تفسير السراط المستقيم ، حسن البروجردي ، 5 / 332 .

(100) التفسير الكاشف ، محمد جواد مغنية ، 5 / 166 .

(101) الميزان في تفسير القرآن ، 13 / 403 –405 .

(102) جامع البيان عن تأويل آي القرآن ، الطبري ، 21 / 97 .

(103) ينظر : التفسير الكبير ، 25 / 157 .

(104) الميزان في تفسير القرآن ، 16 / 233 – 234 .

قائمة المصادر والمراجع

1- أسباب النزول ، أبو الحسن علي بن احمد الواحدي النيسابوري (ت468هـ) دار الباز للنشر والتوزيع ، مكة المكرمة / 1968 م .

2- الأصول من الكافي – أبو جعفر محمد بن يعقوب بن إسحاق الكليني (ت328هـ) تحقيق : علي اكبر الغفاري ، دار الكتب الإسلامية ، طهران ، ط3 / 1968 .

3- آلا الرحمن في تفسير القرآن – محمد جواد البلاغي النجفي (ت 1352هـ) ، مطبعة العرفان – بيروت ،(د– ت) .

4- الأمثل في تفسير كتاب الله المنزل – ناصر مكارم الشيرازي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، ط1 /2007 .

5- البحر المحيط في التفسير – محمد بن يوسف الشهير بابي حيان الأندلسي الغرناطي (ت754هـ) اعتنى به زهير جعير ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت / 2005 .

6- بدائع الكلام في تفسير آيات الاحكام – محمد باقر الملكي ، مؤسسة الوفاء ، بيروت– لبنان ، ط1/ 1980م .

7- تاج العروس من جواهر القاموس – محب الدين السيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي الحنفي (ت1205هـ) تحقيق : علي شيري ، دار الفكر ، بيروت /1994 .

8- التبيان في تفسير القران،أبو جعفر محمد بن الحسن الطوسي (ت460هـ) تحقيق وتصحيح: احمد حبيب قصير العاملي، دار إحياء التراث العربي – بيروت .

9- التحرير والتنوير ، تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد – محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت 1393هـ) ، الدار التونسية للنشر – تونس /1984 هـ .

10- التحقيق في كلمات القرآت الكريم – حسن المصطفوي ، الناشر وزارة الثقافة والارشاد الاسلامي – ايران ، ط1 / 1417هـ .

11- تفسير ابن عربي – محيي الدين ابن عربي (ت638هـ) ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط1/ 2001م .

12- تفسير السراط المستقيم – السيد حسين البروجردي (ت1340هـ) ، دار النشر مؤسسة انصاريان – ايران / 1995 م .

13- تفسير الفخر الرازي المشتهر بالتفسير الكبير ومفاتيح الغيب – محمد بن عمر ابن الحسين الرازي (ت606هـ) قدم له خليل محيي الدين الميس ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت / 1995 .

14- تفسير القرآن (تفسير السمعاني) – ابو المظفر منصور بن محمد السمعاني ، ت 489 هـ ، تحقيق ياسر ابراهيم وغنيم بن عباس، دار الوطن ، الرياض ، ط1 / 1997.

15- تفسير القمي – علي بن ابراهيم القمي (ت 329هـ) ، دار الكتاب للطباعة والنشر – ايران ، ط3 / 1404هـ .

16- التفسير الكاشف – محمد جواد مغنية ، دار العلم للملايين ، بيروت ، ط 2 / 1987 .

17- تفسير بحر العلوم – أبو الليث نصر بن محمد بن احمد بن إبراهيم السمرقندي (ت373هـ) تحقيق : محمد مطرجي ، دار الفكر ، بيروت .

18- تفسير غريب القرآن – فخر الدين الطريحي ، تحقيق محمد كاظم الطريحي ، (ت 1085هـ) ، انتشارات زاهدي ، قم – ايران ، (د- ت) .

19- تلخيص البيان في مجازات القرآن – السيد الشريف الرضي (ت 406هـ) ، تحقيق محمد عبد الغني حسن ، دار احياء الكتب العربية – القاهرة ، ط1/ 1955م .

20- جامع احاديث الشيعة – حسين الطباطبائي البروجردي (ت 1383 هـ) ، المطبعة العلمية ، قم – ايران /1399 هـ .

21- جامع البيان عن تأويل القران– أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (ت310هـ) قدم له خليل الميس ، ضبط وتوثيق وتخريج صدقي جميل العطار ، دار الفكر للطباعة والنشر – بيروت /1995.

22- الجامع لأحكام القرآن ، أبو عبد الله محمد بن احمد الأنصاري القرطبي (ت671هـ) تحقيق وتصحيح : احمد عبد العليم البردوني ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، ط 2 /1985م .

23- حقائق التأويل في متشابه التنزيل – السيد الشريف الرضي (ت 406هـ) ، شرحه العلامة محمد الرضا آل كاشف الغطاء ، دار المهاجر للنشر – بيروت ، (د–ت) .

24- الخصال – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ايران/ 1403هـ .

25- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني – ابو الفضل شهاب الدين محمود الألوسي (ت 1270 هـ) ضبطه وصححه علي غبد الباري عطية ، دار الكتب العلمية ، بيروت / 2009 .

26- زبدة التفاسير – فتح الله الكاشاني (ت 988هـ) ، مؤسسة المعارف الاسلامية ، قم – ايران ، ط1 / 1423 .

27- سنن الترمذي – محمد بن عيسى بن سورة الترمذي (ت 279هـ) ، تحقيق عبد الوهاب عبد اللطيف ، دار الفكر – بيروت ، ط2 / 1983 م .

28- السنن الكبرى – أبو بكر احمد بن الحسين بن علي البيهقي (ت458هـ) دار الفكر، بيروت (د – ت) .

29- شرح قطر الندى وبل الصدى – عبد الله جمال الدين بن هشام الانصاري (ت761هـ) ، مطبعة السعادة – مصر .

30- صحيح البخاري – أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة ابن بردزبه البخاري (ت256هـ) دار الفكر للطباعة والنشر ، بيروت /1981 .

31- عمدة القارئ بشرح صحيح البخاري – بدر الدين محمود بن محمد العيني ، دار احياء التراث العربي – بيروت ، (د– ت) .

32- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري (ت538هـ) اعتنى به وخرج أحاديثه خليل مأمون شيحا ، دار المعرفة – بيروت ، ط2/ 2005 م .

33- مجمع البيان في تفسير القران – أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي (ت548هـ) حققه لجنة من العلماء ، قدم له محسن الأمين العاملي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات – بيروت ، ط2 /2005 .

34- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي (ت546هـ) تحقيق : عبد السلام عبد الشافي محمد ، دار الكتب العلمية – بيروت ، ط2 / 2007 م .

35- المستدرك على الصحيحين – الحافظ أبو عبد الله الحاكم النيسابوري (ت405هـ) وبذيله التلخيص ، للحافظ الذهبي ، دار المعرفة – بيروت .

36- مسند احمد بن حنبل – أبو عبد الله احمد بن محمد بن حنبل (ت241هـ) دار صادر – بيروت .

37- معاني الاخبار – محمد بن علي بن الحسين بن بابويه القمي (ت381هـ) ، منشورات جماعة المدرسين في الحوزة العلمية – قم ، ايران/ 1379هـ .

38- معاني القرآن الكريم – ابو جعفر النحاس (ت337هـ) ،تحقيق محمد علي الصابوني ، مركز احياء التراث الاسلامي – مكة المكرمة ، ط1/ 1988م .

39- معجم مقاييس اللغة ، أبو الحسن احمد بن فارس بن زكريا (ت395هـ) اعتنى به محمد عوض مرعب ، فاطمة محمد أصلان ، دار إحياء التراث العربي – بيروت ، 2008م .

40- المفردات في غريب القران – أبو القاسم الحسن بن محمود المعروف بالراغب الأصفهاني (ت502هـ) تحقيق وضبط : محمد خليل عيتاني ، دار المعرفة – بيروت ، ط4 /2005م .

41- الميزان في تفسير القران ، محمد حسين الطباطبائي ، مؤسسة الاعلمي – بيروت ، لبنان ، ط1 /1997 .